التمهيد

لدراسة الشريعة الإسلامية

[المدخل لدراسة الشريعة]

والمسمّى

جمع الجذاذ في جهدي التلميذ والأستاذ

الدكتور

محمد محروس المدرس الأعظمي

١٤٢٢ هـ **٢٠٠١م**

الإهداء

إلى مشايخي الكرام ، والعلماء الأعلام ،

الذين تشرفت بالتلّقي والأخذ عنهم .. في :

العراق ، ومصر ، والحجاز ، والهند ، والشام .

وإلى ... مؤسس المجـد العلمي لأجدادنا

آل العلقبنـد

العـلاَّمة الشـيخ

مصطفى العلقبنـد الأعظمي الطـائي

مفتي الحنفية ببغداد المحمية

ولأولاده ، وأحفاده ، من العلماء الأمجاد الأعلام

الذين تنوّر بهم الزمان في بغداد دار السلام ..

إليهم جميعا ... أُهدي كتابي هذا .

المقدمة

الحمد لله الذي مهدَّ لنا درب الهداية ، وأبعدنا عن الغواية ، ودعانا إلى التعلم والتعليم ، وأمرنا بإتيان البيوت من أبوابها وهو الخبير العليم .

والصلاة والسلام على من خوطب بإقرأ في أول خطاب ، وهو خطابٌ لأولي الألباب ، والصلاة والسلام على الآل والأصحاب ، وسدنة العلوم في كلِّ فنٍّ وباب .

وبعد ~~

فقد يسرَّ الله تعالى – بفضله – تدريس [المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية] لسنوات عديدةٍ في كليَّات الحقوق والقانون في العراق ، وكنت لا أتَّفق في كثيرٍ من الأحيان مع منهج الكتب المتعددة التي دَّرستها طوال عِقدٍ من السنين ، ولذلك أعددت مذكَّراتٍ كنت ألقيها على الطلاب فيدونون الملاحظات عنِّي ، وقد رأيت أن أجعل من تلك المذكرات – المعدَّة إعداداً سريعاً – كتاباً ، ليعمَّ نفعه ، بعد أن عاودت النظر فيه بالتنقيح والإضافة والحذف بما يتناسب وذلك التعميم .

وقد رأيت أن أُسمِّي الكتاب [بالتمهيد لدراسة الشريعة] لسببين :

أولهما – موضوعيٌّ ، وهو أن التمهيد لفظٌ أليق بهذا العلم – كما سنرى – ثانيهما – ليتميَّز الكتاب عن أمثاله ، فقد أُلِّف في هذا العلم عددٌ غير قليل من الكتب الموسومة بذات الاسم ، وحين الإحالة من المقتبسين يختلط الأمر اختلاطاً غير مبرر .

وقد وطأت للموضوع بأمورٍ رأيتها مهمةً ، وقد لا يتطرق إليها الكثير ممن كتب ، متَّخذاً من [المنهجية الإسلامية] نبراساً في هذا المجال .

وجرى التبويب بما رأيته أنفع للقارئ ، ولا أراني بحاجةٍ لإعادة الفهرست فهو في متناول اليد في آخر الكتاب .

ولما كان من جملة ما درست في دبلوم الشريعة الإسلامية في كليَّة الحقوق بجامعة القاهرة سنة ١٩٦٧ م ، مذكَّراتٍ مطبوعةٍ على الآلة الكاتبة لشيخي واستاذي العلاَّمة المرحوم الشيخ محمد أحمد فرج السنهوري الحنفي وزير الأوقاف الأسبق في مصر .. في تأريخ الفقه ، فإن مباحثه برمتها تدخل في موضوع كتابنا ، ولا أراني سآتي بأحسن ممَّا جاء به في الموضوع ، فرأيت .. وفاءً مني لواحدٍ من أساتذتي ، وتعميماً لعلمٍ غزير لا ينبغي أن يبقى حبيساً ، رأيت أن أنقل ما يتعلق بهذا الجانب برمته ، وأحافظ على نسبته ، وأحفظه من سرقته.. ولذلك أسميت الكتاب :

[التمهيد لدراسة الشريعة الإسلامية ، أو جمع الجذاذ في جهدي التلميذ والأستاذ] ، وعسى أن يكون هذا سنةً للتالين ، في حفظ حقوق السابقين ، لا أن يكون ديدنهم دون الإشارة ، وكلٌ جهدهم هو بعض التحوير في العبارة . !!

وإني أدعو الناظر فيه إلى إصلاح الخلل والخطل .. فإن كان فهو مني ، وإن وجد صواباً فذلك توفيق الله عزَّ وجلَّ ورحمته ، { يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم }[1]، وهو القائل :{ .. وفوق كلِّ علمٍ عليم } .

وأسأل الله عزَّ وجلَّ أن يمهدَّ لي السبيل لإتمام ما بدأت ، وأن يجعل النفع فيما كتبت ، وأن يجعل جلَّ وعلا خالصاً لوجهه ما بذلت ، وأن يغفر لمشايخنا وأساتيذنا الفخام .. وهو المعين في البدء والختام ، وهو الكفيل بتوالي الإنعام .

[1] آل عمران / ٧٤ .

والحمد لله ربِّ العالمين ~~ِ

الدكتور
محمد محروس المدرس الأعظمي

العراق / الأعظمية / محلة ٣١٤ – زقاق ٨٨ – دار ٤١ .
هاتف المنزل / ٤٢٢٥٢٥٣ و ٤٢٢٨٦٦٩ .
هاتف المدرسة الوفائية الدينية / ٨٨٧٩٧٢٣ .

توطئة

يؤكد الباحثون الإسلاميون ، وخاصَّةً علماء الميزان [المنطق] ، على أن يتضمنَّ الكلام في كلِّ علمٍ توطئةً تتضمن الكلام على ما أسموه [بالرؤوس

الثمانية] ، وهي : تعريف العلم ، موضوعه ، واضعه ، استمداده ، غايته ، فائدته ، ثمرته ، الحاجة إليه . وقد يضيف آخرون رأسين آخرين هما : نسبته إلى العلوم ، حكمه .. فتكون عشرة .

أولاً – <u>تعريف العلم /</u> جرت العادة على تعريف المصطلحات قبل الدخول بالتفصيلات – وهذا منهجٌ إسلاميٌّ دقيق – ، وبيان المعنى اللغوي ، ثم المعنى الإصطلاحي الذي انتقل إليه المعنى ، ولأيّ سببٍ كان ، فإن العرب قد وضعت للمعاني ألفاظاً تدل عليها ، ثم ينقل بطريق المجاز ذلك المعنى إلى معنىً جديداً ، قد يضيق وقد يتَّسع .. ونحن مع منهجهم ذاك .

_ لقد أسمينا هذا العلم [بالتمهيد لدراسة الشريعة الإسلامية] بل لفظ [المدخل] الذي اعتاد المؤلفون في هذا العلم استعماله .

<u>والتمهيد لغةً /</u> مصدر [مَهَدَ] .

ومَهَدَ الفراش مهْداً : بسطه ، ووطأه .

ومَهَد أمراً : هيَّأه .

ومَهَّد – بتضعيف الهاء – : فيه زيادة البسط والتهيأة ، فهي كالمعنى السابق مع الزيادة .

وتَمَهَّد الأمر : تسَّهل ، وتوطأ .

والمُمَهَّد : المهيَّأ المسوَّى .

والمِهاد : الفِراش ، والأرض المنخفضة المستوية .

والمهد : السرير المهيَّأ للصبيّ الصبيّ والموطأ للمنام .

والمهيد: الزبد الخالص .

فكافة اشتقاقات الكلمة اللغوية تدلُّ على : التيسير ، والتسوية ، وجعل الشئ صالحاً للإنتفاع به ، وما يترتب عليه .

وهذا المعنى هو عين ما نريده من هذا العلم ، فنريد تسوية ما استعسر من أمر دراسة الشريعة ، وجعل سلوك طريق علومها ميسوراً إن شاء الله تعالى .

ونستطيع أن نقول في :

المعنى الإصطلاحي لهذا العلم .. بأنه / علمٌ يُمهِّد للدارس الطريق المؤدية لدراسة علوم الشريعة ، وتكوين الفكرة العامَّة عن نشوئها ، وتطور مدارسها المتنوعة ، ونشوء علومها ، وموقعها بين : الشرائع ، والتنظيمات ، والأديان .

وهذا المصطلح أدَّق في الدلالة على المقصود من مصطلح [المدخل] .

فالمَدْخَل : اسم مكان للدلالة على موضع الدخول ، وقد يطلق على ذات الدخول .

والدخول : هو صيرورة الداخل في المكان ليس إلاَّ .

ممَّا تقدَّم فضلنا مصطلح [التمهيد] على [المدخل] .

ثانياً – **نشوء هذا العلم [واضعه] /** لم يكن التربويون المسلمون الأقدمون بعيدين عن فكرة [علم المدخل] الذي أسميناه [علم التمهيد لدراسة الشريعة الإسلامية] ، فهو ليس علماً مبتكراً كما يظن البعض ، أو علماً مقتبساً كما يظن آخرون ، بل هو علم تراثيٌّ وإن اختلفت التسميات ، فإن [العبرة

بحقيقة المسمَّيات لا باختلاف الأسماء] ، ونستعرض بعض ما كتب في هذا المجال .

١. لقد بوَّب أئمة الحديث – وعلى رأسهم الإمام البخاري – في كتبهم الحديثية كتاباً باسم [كتاب العلم] .

٢. وكتب الشيخ ابن عبد البر الأندلسي المالكي – ت سنة ٤٦٣ هـ – كتابه الشهير [جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في حفظه وروايته] ، واستعرض فيه كثيراً من الآداب في تدوين العلم وطلبه ، وأرَّخ للفقهاء الكبار المتبوعين . وهو مطبوع متداول .

٣. وكتب الإمام الحجة أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزَّالي – ت سنة ٥٥٥ هـ – كتابه القيِّم [إحياء علوم الدين] ، وفي الجزء الأول منه أتى بالكثير ممَّا يعدُّ داخلاً في موضوع هذا العلم . وهو مطبوع متداول .

٤. وقد كتب الإمام ابن قيِّم الجوزية – ت سنة ٧٥١ هـ – كتابه الشهير [أعلام الموقعين عن ربِّ العالمين] ، وفيه استعرض أعلام فقهاء الصحابة ، وأبرز فتاواهم ، ومميزات فقههم ، وهكذا فعل مع فقهاء التابعين ، وأئمة المذاهب المعروفة ، وناقش الكثير ممَّا رواه عنهم . وهو مطبوع متداول .

٥. وكتب الإمام المهدي لدين الله أحمد بن يحيى بن المرتضى الزيدي اليمني – ت سنة ٨٤٠ هـ – موسوعته القيِّمة [البحر الزَّخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار] ، وهو مطبوع متداول .

٦. وكتب الشريف نور الدين علي بن عبد الله الحسيني السمهودي – ت سنة ٩١١ هـ – كتابه [جواهر العِقدين في فضل الشرفين شرف العلم الجليّ والنسب العليّ] ، وقد اختصره الحسين بن أمير المؤمنين (الزيدي) المنصور بالله القاسم بن محمد بن عليّ – ت سنة ١٠٥٠ هـ – بكتابه [آداب العلماء والمتعلمين ، والذي يقول فيه :

[العاشر : أن يذكر للطلبة قواعد الفن التي لا تنخرم ، إما مطلقاً كتقديم المباشرة على السبب في الضمان ، أو غالباً كاليمين على المدعى عليه إذا لم تكن بيِّنة .. ونحو ذلك من القواعد . وكذلك كلُّ أصل وما ينبني عليه من كل ما يُحتاج إليه من علمي : التفسير ، والحديث ، وأبواب أصول الدين ، والفقه ، والنحو ، والتصريف ، واللغة .. ونحو ذلك ، إما بقراءةِ كتاب في الفن ، أو بتدريج .

وهذا كلُّه إذا كان الشيخ عارفاً بتلك الفنون ، وإلاَّ فلا يتعرض لها ، بل يقتصر على ما يُتقنه منها .

ومن ذلك ما لا يسع الفاضل جهله .. كأسماء المشهورين من : الصحابة ، والتابعين ، وأئمة المسلمين ، وعلماء أهل البيت المطهرين ، وأهل الزهد والصلاح من الفقهاء المحققين ، وما يستفاد من محاسن آدابهم ، ونوادر أحوالهم ، فيحصل له – مع الطَوْل – فوائد كثيرة][2] .

وكتب أقوامٌ في أسباب اختلاف الفقهاء ، وهو من أهم مواضيع هذا العلم الجليل ، وما كتب فيه كثيرٌ ، من ذلك :

١. أسباب اختلاف الفقهاء لأبي جعفر محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي للطحاوي الحنفي – ت ٣٢١ هـ – .
٢. رفع الملام عن الأئمة الأعلام للإمام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي – ت سنة ٧٢٨ هـ – .

[2] آداب العلماء والمتعلمين – ٥٤ [الدار اليمنية للنشر والتوزيع / ١٩٨٧ م] .

٣. رحمة الأمة في اختلاف الأئمة لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الدمشقي العثماني الشافعي – من علماء القرن الثامن الهجري – .
٤. عِقد الجيد في الاجتهاد والتقليد لشاه وليّ الله أحمد بن عبد الرحيم الفاروقي الدهلوي الحنفي – ت سنة ١١٧٦ هـ – .
٥. القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد للإمام محمد بن عليّ الشوكاني الزيدي اليمني – ت سنة ١٢٥٠ هـ – .

وفي مطلع القرن العشرين الميلادي كتب الباحثون المصريون في مواضيع هذا العلم تحت عنوان [تأريخ التشريع الإسلامي] و [المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية] ، وعنهم انتشرت التسمية وأخذ هذا العلم موقعاً مميَّزاً بين العازمين على الولوج لدراسة العلوم الشرعية ، وقد مهدَّ ذلك لهم الطريق الموصل لتلك العلوم ، مع خلق رؤيةٍ واضحةٍ لكثيرٍ من المصطلحات ، ونشوء المذاهب والمدارس الفقهية والأخلاقية والكلامية .

وأبرز من كتب فيه في العصور الأخيرة /

١. تأريخ التشريع الإسلامي – لمحمد الخضري بك ، وقد طبع طبعاتٍ عديدة ، وكتب له الإنتشار والذيوع والتدريس في المعاهد الدينية لفترةٍ طويلةٍ .
٢. خلاصة تأأريخ التشريع الإسلامي للمرحوم عبد الوهاب خلاَّف .
٣. المدخل لدراسة الشريعة – لأستاذنا المرحوم محمد سلام مدكور .
٤. " " " _ لأستاذنا المرحوم علي الخفيف .
٥. " " " _ لأستاذنا المرحوم محمد أبو زهرة .
٦. مذكرات في أصول وتأريخ الفقه الإسلامي للمرحوم حسين علي الأعظمي الحنفي .

٧. " " " _ لأستاذنا د. عبد الكريم زيدان .

٨. المدخل لدراسة الفقه الإسلامي – د. محمد يوسف موسى .

٩. المدخل في التعريف بالفقه الإسلامي – الأستاذ محمد مصطفى شلبي .

وهناك عددٌ غير قليل لغيرهم ، بعضها يدرس في المعاهد والكليَّات المتنوعة ، وقد تكون بأسماء أخرى ، ولا ضير في ذلك ما دام الموضوع متَّحداً .. من ذلك :

كتب استاذنا المرحوم العلاَّمة الشيخ محمد أحمد فرج السنهوري وزير الأوقاف الأسبق في مصر ، والمحاضر بقسم الدراسات العليا في دبلوم الشريعة الإسلامية في كليَّة الحقوق / جامعة القاهرة .. ومنها :

١. مذكرات – بالآلة الطابعة – من مقررات الدبلوم المذكور ، باسم [تأريخ الفقه الإسلامي] . وهو جدير بالطبع والنشر ، لما فيه من تتبع تأريخ الفقه الإسلامي في العقود الأخيرة ، وفي القرنين الهجريين الماضيين ، مما لم يتطرق إلي المؤلفون المحدثون الذين سبق ذكرهم .

وقد يكون طبع هذا الكتاب القيِّم ولم يصلني ، بسبب ظروف العراق المعروفة .

٢. ما كتبه عن فقهاء الصحابة الكرام ، ممَّا كان يدَّرس في الدبلوم ، فكان في كلِّ عام يكتب في فقيهٍ من فقهائهم ، ولا أدري بالضبط عدَّة ما كتب ، والذي أعلمه يقيناً ، هو :

أ. الفقيهة الأولى أم المؤمنين عائشة .

ب. ابن عباس ترجمان القرآن .

ثالثاً – مواضيع هذا العلم / يدرس في هذا العلم أمور :

١. نزول الوحي على الرسول عليه السلام .
٢. ومواضيع الشريعة ، وأسسها ، ومميّزاتها ، وقواعدها العامَّة .
٣. نشوء المدارس الكلامية والفقهية والأخلاقية .
٤. مميّزات كلِّ مدرسة من تلك المدارس .
٥. الكتابات المهمة في كلِّ مدرسة .
٦. دراسة موضوع مهم من مواضيع الدراسات القانونية الوضعية من وجهة النظر الإسلامية ، مثل [نظرية الحق] أو [نظرية الملكية] .. الخ .
٧. ثم الإشارة إلى موقع الشريعة بين النظم الحياتية المنظِّمة لشؤون البشر في زماننا .

وقد أضفت :

١. نشأة الخليقة ، وحاجة الإنسان للنبوات .
٢. أجيال العرب ، ومن أيِّهم نسب رسول الله عليه الصلاة والسلام .
٣. تحديد حدود بلاد العرب .
٤. تعريف : الدين ،الإسلام ، الشريعة ، الفقه ، تعريفاً لغويَّاً واصطلاحيَّاً ، وأنواع الأديان ، لما في النقطة الأخيرة من تأثير في الردِّ على كثيرٍ المدَّعيات والتهم للإسلام .
٥. ميَّزت تمييزاً واضحاً بين : الأسس ، والقواعد ، والمميّزات .. الخ ، من الألفاظ المتقاربة المعاني والمختلفة الحقائق .
٦. توسعت في إيراد مميّزات العهود الفقهية ، وجهود القائمين على شأن الشريعة في كلِّ عهدٍ ، وتقييم ما أصَّلوه ، أو بدَّلوه .. الخ .
٧. وأمور أخرى سيجدها القارئ في موضعها إن شاء الله تعالى .

رابعاً – استمداده / تستمد مباحث هذا من عدَّة علومٍ أخرى ، أهمها :

١. السيرة النبوية الشريفة . ٢. علوم القرآن ، وأهمها أسباب النزول.

٣. علوم السنة النبوية الشريفة بأنواعها .

٤. أصول الفقه . ٥. الفقه .

٦. كتب تراجم الرجال في المذاهب ، وفي علم الحديث .

٧. كتب التأريخ العام . ٨. والعلوم الأخرى بنسبٍ متفاوته .

خامساً – أهمية هذا العلم / لهذا العلم أهميةٌ قصوى للمبتدئين ، بل قد لا يستغني عنه الباحثون ، فهو يغني عن كثيرٍ من المتابعات والمراجعات ، ويعطي صورةً واضحةً لكثيرٍ من المصطلحات والألفاظ ، والفروق بين كثيرٍ من الأمور ، والموافقات بين غيرها ، وحقيقة هذا العلم إعادة تبويبٍ ، وسهولة عرضٍ للكثير ، وجعل إمكان الرجوع إلى العلوم الإسلامية بمقدور الجميع .

لقد أحسن المحدثون بابتداع هذا العلم ، فقد يسروا الكثير ، وأغنوا الكثير عن تضييع الوقت للوصول إلى ما جعلوه ميسوراً .

وهذا العلم يبرهن لنا أن العلوم لا تقف عند أحدٍ ، وقد ينشأ منها ما تقوم الحاجة إليه في كلِّ عصرٍ ومصر .

سادساً – فائدته / تيسير طلب علوم الشريعة لطالبيها ، وهي فائدة جليلة إذ تختصر الوقت للدارس ، وتوصله إلى المقصود بأقر طريق .

سابعاً – ثمرته / عصمة الدارس عن كثيرٍ من الخلط ، وإزالة الغبش والتداخل في المصطلحات ، وتجعل التوغل في مطالب العلوم الإسلامية ميسوراً .

ثامناً – الحاجة إليه / تبتنى الحاجة إليه على ثمرته ، فما دامت له ثمرة نافعة ، فالحاجة إليه قائمة ، وهو ضروريٌّ في العصور المتأخرة ، نظراً لأسلوب الدراسات الشرعية الحديثة .

تاسعاً – نسبته بين العلوم / هو كالباب لمن يريد دخولها ، وهو كالطريق للسائر إليها ، ولا وصول إلاَّ بالطريق ، ولا ولوج إلاَّ من الباب ، ومن هذا تبرز ضرورته .

عاشراً – حكمه الشرعيّ / حكمه الاستحباب لكلِّ مسلم ، ليقف على الكثير من أمور شريعته ، وتتضح له المسائل مع الدلائل .

وقد يأخذ حكم الوجوب لمن انصرف لدراسة الشريعة دراسة متخصصة ، تيسيراً لمهمته ، واختصاراً لوقته ، وعصمةً له عن تصور أسباب الخطأ .

الباب الأول

في

بدء الخليقة ، وبدء الرسالات ، ونشوء الشرائع

وفي

أجيال العرب ، ونسب الرسول (عليه السلام) ، وبلاد العرب

الفصل الأول

في

بدء الخليقة ، وبدء الرسالات

روي عن رسول الله عليه الصلاة والسلام قوله :

{ كان الله ولا شئ معه } ، وفي روايةٍ : { كان الله ولا شئ قبله }[٣] ، ثم أبدع الله عزَّ وجلَّ السماوات والأرض .

يقول تعالى : { بديع السماوات والأرض وإذا قضى أمراً فإنَّما يقول له كن فيكون }[٤] .

ويقول تعالى : { بديع السماوات والأرض أنَّى يكون له ولدٌ ولم يكن له صاحبة خلق كلَّ شئٍ وهو بكلِّ خلقٍ عليم }[٥]

ثم خلق الله عزَّ وجلَّ من السماوات والأرض: الملائكة ، والجن ، والإنسان ، والحيوان ، والنبات ، والجمادات .. بما فيها الأكوان ، وغير ذلك من مخلوقاته التي يعجز الإنسان عن إحصائها .

يقول تعالى : { .. ويخلق ما لا تعلمون }[٦].

والإبداع في اللغة : ما يكون على غير مثالٍ سابق .

والإباع هو : الخلق من لا شئ ، أي : من العدم التام .

والخلق في اللغة : التقدير .

والخلق هو : أيجاد شئٍ من شئ ، أي : من مادةٍ أخرى ، وهو العدم النسبي .

---

[٣] رواه : ابن حِبَّان ، والحاكم ، وابن أبي شيبة .. عن بُريدة . راجع : كشف الخفا ومزيل الإلباس للعجلوني – ٢ / ١٣٠ ، وحجة الله البالغة للدهلوي – ١ / ١٢ .

[٤] البقرة / ١١٧ .

[٥] الأنعام / ١٠١ .

[٦] النمل / ٨ .

فالمخلوق : يوجد بعد إذ لم يكن ، ولكن من مادةٍ أخرى .
والمُبدَع : يوجد بعد إذ لم يكن أصلاً [٧].

لقد كانت السماوات والأرض بعد إبداعهما متصلتان ، ففصلهما الله عزَّ وجلَّ ، ثم خلق الجبال الرواسي ، وجعل الماء سبباً للحياة ، ثم خلق باقي الأكوان .. يقول تعالى :

{ أوَلَمْ يَرَ الذين كفروا أنَّ السموات والأرض كانتا رتْقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كلَّ شيءٍ حيٍّ أفلا يؤمنون ✎ وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فيها فِجاجاً سُبلاً لعلهم يهتدون ✎ وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها مُعرضون ✎ وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كلٌّ في فلكٍ يسبحون } [٨] .

وخلق الجانَّ من مارجٍ من نار ، وخلق الإنسان من الأرض ، ومن صلصالٍ كالفخار .. يقول تعالى :

{ خلق الإنسان من صلصالٍ كالفخَّار ✎ وخلق الجانَّ من مارجٍ من نار } [٩] .

ويقول تعالى : { منها خلقناكم وفيها نُعيدُكم ومنها نُخرجُكم تارةً أخرى } [١٠].

---

[٧] القاموس المحيط للفيروز آبادي – ٣ / ٢٣٦ ، حجة الله البالغة للدهلوي – ١ / ١١، المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية في القاهرة – ١ / ٤٢ .

[٨] الأنبياء / ٣٠ إلى ٣٣ .

[٩] الرحمن / ١٤ إلى ١٥ .

[١٠] طه / ٥٥ .

ويقول تعالى : { ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأٍ مسنون ✍ والجانَّ خلقتُهُ من قبلُ من نار السَمُوم ✍ وإذ قال ربُّك للملائكة إنّي خالقٌ بشراً من صلصالٍ من حمأٍ مسنون ✍ فإذا سوَّيتُهُ ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ✍ فسجد الملائكة كُلُّهُم أجمعون ✍ إلاَّ إبليس أبى أن يكون من الساجدين ✍ قال يا أبليسُ ما لك ألا تكون من الساجدين ✍ قال لم أكن لأسجد لبشرٍ خلقته من صلصالٍ من حمأٍ مسنون ✍ قال فاخرج منها فإنَّك رجيم ✍ وإنَّ عليك اللعنة إلى يوم الدِّين ✍ قال ربِّ انظرني إلى يوم الوقت المعلوم ✍ قال ربِّ بما أغويتني لأزيّنَنَّ لهم في الأرض ولأُغوينَّهم أجمعين ✍ إلاَّ عبادك منهم المُخْلَصين }[11] .

والحمأ : الطين الأسود المنتن[12] .

والمسنون : المتغيّر الرائحة[13] .. وقيل : المُصَوَّر ، من سنَّ الشئ[14] .

والصلصال : الطين الحرُّ اليلبس إذا اختلط بالرمل[15] .

فهو يصلصل .. أي : يُظهر صوتاً إذا نُقر عليه ، فإذا طبخ كان فخاراً[16] .

---

[11] الحجر / ٢٦ إلى ٤٠ .

[12] القاموس المحيط – ١ / ١٣ ، المعجم الوسيط – ١ / ١٩٥ .

[13] المصحف الميَّسر للشيخ عبد الجليل عيسى – ٣٤ .

[14] صفوة البيان للشيخ محمد حسنين مخلوف – ٣٣٦ .

[15] القاموس المحيط – ٤ / ٣ ، المعجم الوسيط – ١ / ٥٢٠ .

[16] المصحف الميسر – المرجع السابق ، وراجع : الرحمن / ١٤ و ١٥ .

فأما الملائكة / فهي جمعٌ وواحدها .. المَلَك .

والملاك : هو المَلَك أيضاً .

والملائكة : هي التي تبلغ عن الله ، لأن .. الملاك ، والملاكة ، والأَلوكة ، والمألُك ، والأَلوك : هي الرسالة[١٧] .

[وحال الملائكة في تجرّدها لا يُزعجها حالةٌ ناشئةٌ من تفريط القوة البهيمية .. كالجوع ، والعطش ، والخوف ، والحزن ، أو إفراطها .. كالشبق ، والغضب ، والتيه ، ولا يهمها التغذية والتنمية ولواحقها ، وإنَّما تبقى فارغة لإنتظار ما يرد عليها من فوقها ، فإذا ترشَّح عليها أمرٌ من فوقها من إجماعٍ على إقامة نظامٍ مطلوب ، أو رضاً عن شيءٍ ، أو بغض شيءٍ ، امتلأت به وانقادت له ، وانبعثت إلى مقتضاه ، وهي في ذلك فانية عن مُراد نفسها ، باقية بمراد ما فوقها][١٨] .

هذا حال الملائكة – في عقيدة المسلمين – ، وهي مأخوذة من القرآن الكريم فيما ورد فيه عنهم ..

يقول تعالى : { إنَّ الذين عند ربِّك لا يستكبرون عن عبادته ويُسبِّحُونَهُ وله يسجدون }[١٩] .

ويقول تعالى : { قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزَّلنا عليهم من السماء مَلَكاً رسولا }[٢٠].

---

[١٧] القاموس المحيط – ٣ / ٣٣١ ، المعجم الوسيط – ١ / ٢٤ .

[١٨] حجة الله البالغة للدهلوي – ١ / ٢٠ .

[١٩] الأعراف / ٢٠٦ .

[٢٠] الإسراء / ٩٥ .

ويقول تعالى : { ولـه مَـن فـي السـماوات والأرض ومَـنْ عنـده لا يستكبرون عن عبادته ولا يَستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفتُرُون }[٢١] .

ويقول تعالى :{ يخافون ربَّهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون }[٢٢] .

ويقول تعالى :{ **يا أيُّها** الذين آمنوا قُوا أنفَسَكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكةٌ غلاظٌ شدادٌ لا يعصون ربَّهم ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون }[٢٣] .

ويقول تعالى :{ فإن استكبروا فالذين عند ربِّك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون }[٢٤] .

ويقول تعالى : { تكاد السماوات يتفطَّرن من فوقهنَّ والملائكة يُسبحون بحمد ربِّهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إنَّ الله هو الغفور الرحيم }[٢٥] .

والملائكة بعد / أجسامٌ لطيفة ، نورانية ، تتشكل بأشكالٍ مختلفة[٢٦] .

أمَّا الجنُّ / فهم في اللغة : اسمٌ من الفعل الماضي [جنَّ] .

وجنَّ جناً : استتر ، وكلُّ ما سُتر عنك فقد [جنَّ] .

وجنَّ الليل : أظلم .

---

[٢١] الأنبياء / ١٩ إلى ٢٠ .

[٢٢] النحل / ٥٠ .

[٢٣] التحريم / ٦ .

[٢٤] فصِّلت / ٣٨ .

[٢٥] الشورى / ٥ .

[٢٦] التعريفات للسيِّد الشريف – ٢٠٥ .

وجنَّ الظلام : اشتدَّ .

وجنَّ عليه : ستره ، وفي القرآن الكريم : { فلمَّا جنَّ عليه الليل رأى كوكباً فلما أفل قال لا أُحب الآفلين }[٢٧] .

وجَنَّة : هو الميّت ، لأنه يستتر عن الناس .

والجنَّة : الحديقة ذات الأغصان والشجر ، وتحجب من فيها .

والجنين : ما تحمله المرأة في بطنها ، سُميَّ بذلك لاستتاره .

والجنين : القبر .

والمجنَّة : المقبرة ، لأنها تحجب من فيها .

والجِنَّة : الجنون ، وهو استتار العقل ، وفي التنزيل الحكيم : { أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جِنَّة إن هو إلاَّ نذيرٌ مبين }[٢٨] .

والجُنَّة : كلُّ ما يُستتر به ، ومنه غطاء رأس المرأة .

والمجَن : الترس الذي يستتر به المقاتل .

والجَنان : من كلِّ شيءٍ جوفُه ، لأنه مستور .

والجَنان : جماعة الناس التي تستر الداخل فيها .

والجانُّ : الجنُّ .

والجنُّ : من كلِّ شيءٍ أوله ، وشدَّته ، ونشاطه ، فجنُّ الشباب : عنفوانه ، وجِنُّ النبات : زهره .

والجنُّ بعد / خلاف الإنس ، واحده [جنيّ] ، وأنثاه [جنيَّة] ، وهم الملائكة المخلوقين من نار[٢٩] .

---

[٢٧] الأنعام / ٧٦ .

[٢٨] الأعراف / ١٨٤ .

[٢٩] القاموس المحيط – ٤ / ٢١٢ ، المعجم الوسيط – ١ / ١٤٠ إلى ١٤١ .

والجنُّ : باعتبارهم مخلوقاتٍ مستترةٍ مخلوقةٍ من نار ، هم مكلفون كبني البشر ، وهم ليسوا كالملائكة الذين ليست عليهم تكاليف .

يقول تعالى : { ولو شاء ربُّك لجعل الناس أمَّةً واحدةً ولا يزالون مختلفين ✍ إلاَّ من رحم ربُّك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربّك لأملأنَّ جهنم من الجِنَّة والناس أجمعين }[٣٠] .

وعلى كونهم مكلَّفين فقد آمن بالرسول محمد عليه أفضل الصلاة والسلام بعضهم ، وكفر آخرون .

يقول تعالى :{ وإذ صَرَفْنا إليك نفراً من الجنِّ يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قُضيَ ولَّوا إلى قومهم منذرين ✍ قالوا يا قومنا إنَّا سمعنا كتاباً أُنزل من بعد موسى مُصدِّقاً لما بين يديه يهدي إلى الحقّ وإلى طريقٍ مستقيم ✍ يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذُنُوبكم ويَجِرْكُم من عذابٍ أليم }[٣١] .

ويقول تعالى : { قل أُوحي إليَّ أنَّه استمع إليَّ نفرٌ من الجنِّ فقالوا إنَّا سمعنا قرآناً عجباً ✍ يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا ✍ وأنَّه تعالى جدُّ ربّنا ما اتَّخذ صاحبةً ولا ولدا ✍ وأنَّه كان يقول سفيهُنا على الله شَطَطا ✍ وأنَّا ظننَّا أن لن تقول الإنس والجنُّ على الله كَذِبا ✍ وأنَّه كان رجالٌ من الإنس يعوذون برجالٍ من الجنِّ فزادوهم رَهَقا ✍ وأنَّهم ظنُّوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا ✍ وأنَّا لمسنا السماءَ فوجدناها مُلئت حرساً شديداً وشُهُبا ✍ وأنَّا كنَّا نقعد منها مقاعدَ للسمع فمن يستمع الآن يجد له شِهاباً رَصَدا ✍ وأنَّا لا ندري أ شرٌّ أُريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربُّهم رشدا ✍ وأنَّا منَّا

---

[٣٠] هود / ١١٩ إلى ١٢٠ .

[٣١] الأحقاف / ٢٩ إلى ٣١ .

الصالحون ومنَّا دون ذلك كنَّا طرائق قِدَدا ✎ وأنَّا ظننَّا أن لن نُعجِز الله في الأرض ولن نُعجزه هربا ✎ وأنَّا لمَّا سمعنا الهدى آمنَّا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رَهَقا ✎ وأنَّا منَّا المسلمون ومنَّا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحرَّوا رَشَدا ✎ وأمَّا القاسطون فكانوا لجهنَّم حطبا }[٣٢] .

ويؤيد كون الجنِّ مخاطبون بالفروع والأصول ، وأنَّهم مطالبون بالإيمان بنبيِّنا محمد عليه الصلاة والسلام ، هو قوله تعالى :

{ وما أرسلناك إلاَّ رحمةً للعالمين }[٣٣] ، والعالمون هم كافة المخلوقات العاقلة ، ومنهم الجن .

ويؤيد ذلك أيضاً .. قوله تعالى :

{ .. فسجدوا إلاَّ إبليس كان من الجنِّ ففسق عن أمر ربِّه .. }[٣٤] .

ويرسل إلى الجنِّ رسلٌ كما يُرسل إلى الإنس ، يقول تعالى :

{ يا معشر الجنِّ والإنس أ لم يأتكم رسلٌ يقصُّون عليكم آياتي ويُنذِرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهِدنا على أنفُسِنا وغرَّتهُمُ الحياةُ الدُّنيا وشهِدوا على أنفُسِهِم أنَّهم كانوا كافرين }[٣٥] .

ولذلك يُعاقب الجنِّ ويُثابون ، لأن العقاب والثواب هو فرع التكليف ، يقول تعالى :

---

[٣٢] سورة الجنِّ / ١ إلى ١٥ .

[٣٣] الأنبياء / ١٠٧ .

[٣٤] الكهف / ٥٠ .

[٣٥] الأنعام / ١٣٠ .

{ قال ادْخُلُوا في أُممٍ قد خَلَت من قبلكم من الجنِّ والإنس في النار كلَّما دخلت أُمَّةٌ لعنت أُختَها حتَّى إذا ادَّاركوا فيها جميعاً .. }[٣٦] .

ويقول تعالى : { ولقد ذرأْنا لجهنَّمَ كثيراً من الجنِّ والإنس لهم قلوبٌ لا يفقَهُون بها ولهم أعينٌ لا يُبصِرُون بها ولهم آذانٌ لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضَلُّ أُولئك هم الغافلون }[٣٧] .

ويلاحظ / أنَّنا نقلنا نصوصاً دينية للكلام عن هذه المغيَّبات ، فإن أيَّة جهةٍ أخرى لا تستطيع أن تروي عن غير المحسوسات ، وما لم تدركه مما مضى من عالم المحسوسات ، وما يقولونه هو ظنٌّ ، والظن لا يؤخذ به في مثل هذه الأمور – على ما سيأتيك إن شاء الله تعالى – .

أمَّا الإنسان / ففي معنى الكلمة لغةً أقوال :

الأول – هو اسمٌ جامد غير مشتق ، وهو اسم جنس يقع على : المفرد والجمع ، والأنثى والذكر .

الثاني – هو مشتق .. واختلفوا في مصدر اشتقاقه – بعد اتِّفاقهم على زيادة النون الأخيرة – :

أ. قال البصريون : هو مشتق من [الأنس] ، أي .. ضد [الاستيحاش] ، والهمزة أصلية فيكون على وزن [فعلان] .

قال الشاعر :

وما سمِّي الإنسان إلاَّ لأُنسه ولا القلب إلاَّ أنَّه يتقلب

---

[٣٦] الأعراف / ٣٨ .

[٣٧] الأعراف / ١٧٩ .

ب. وقال الكوفيون : هو مشتق من [النسيان] ، فالهمزة تكون زائدة ، ولما كان التصغير يُرجع الكلمة إلى أصلها ، فتصغير إنسان هو .. [أنيسان] .

قال الشاعر :

وما سميِّيَ الإنسان إلاَّ لنسيه ولا القلب إلاَّ أنَّ يتقلب

والإنسان / كائن : حيٌّ ، ناطق ، عاقل ، حسَّاس ، نامٍ ، متحرك بالإرادة .

و**في بيان حقيقته /** أقوال لا تكاد تنضبط في : كونه جسماً ، أم عَرَضاً جسمانياً ، أم عرضاً روحانياً . ولا يهمنا هذا في شيءٍ من دراستنا .. فنعرض عنه .

وبالنسبة لكونه عَرَضاً ، أو فيه أعراض ، فقد قسموا تلك الأعراض .. إلى : بهيمية[٣٨] ، وسبعية[٣٩] ، وشيطانية ، وربوبية .

فيصدر عن البهيمية : الشهوة ، والشَرَه ، والفجور .

ويصدر عن السبعية : الغضب ، والحسد ، والعداوة ، والبغضاء .

ويصدر عن الشيطانية : المكر ، والحيلة ، والخداع .

ويصدر عن الربوبية: الكِبر ، والعزُّ ، وحبُّ المدح .

[.. وأصول هذه الأخلاط الأربع قد عجنت في طينة الإنسان عجناً محكماً ، لا يكاد يتخلص منها ، وإنما ينجو من ظلماتها بنور الإيمان المستفاد من العقل والشرع .

---

[٣٨] **نسبة إلى البهائم .**

[٣٩] **نسبة إلى السباع ، وهي الضواري .**

فأول ما يُخلق في الآدمي [البهيمية] ، فيغلب عليه الشره والشهوة ، كما في الصبيّ .

ثم يخلق فيه [السبعية] ، فيغلب عليه المعاداة والمنافسة .

ثم يخلق فيه [الشيطانية] ، فيغلب عليه المكر والخداع .

ثم تظهر فيه [الربوبية] ، فيظهر عليه الكِبر والاستعلاء .

ثم بعد ذلك يخلق العقل فيه ، ويظهر الإيمان وهو من حزب الله وجنود الملائكة ، وتلك الصفات من من جنود الشيطان .

وجنود العقل تكمل عند الأربعين ، ويبدأ أصله عند البلوغ .

وأما ساير جنود الشيطان تكون قد سبقت إلى القلب قبل البلوغ ، واستولت عليه ، وألفتها النفس واسترسلت في الشهوات متابعةً لها ، إلى أن يرد نور العقل ، فيقوم القتال والتطارد في معركة القلب ، فإن ضعف جند العقل ونور الإيمان لم يقوَ على إزعاج جنود الشيطان ، فتبقى جنود الشيطان مستقرة في القلب آخراً كما سبقت إلى النزول فيه أولاً ، وقد سلم للشيطان مملكة القلب][٤٠] .

وليس لنا على هذا الكلام اعتراضٌ إلاَّ من جهة جعل العقل هو الحاكم باطلاق ، فالعقل حاكم وموجب عند الإيمان بالله ، وما بعده هو حاكم غير موجب ، وهذا خلاف ما يُشمُّ من النص .. فلا تغفل .

<u>والإنسان بعد هذا /</u> هو نسخةٌ مختصرة من العالم الواسع – كما قيل – ، ففيه :

بسائطه ومركباته ، وماديَّاته ومجرداته .. بل هو العالم الأكبر .. يقول الشاعر :

٤٠ مجمع البحرين ومطلع النيّرين _ كتاب السين / باب ما أوله الألف .

دواؤك فيك وما تشعر وداؤك منك منك ولا تُبصر
وتحسب أنَّك جِرمٌ صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

ثم الإنسان خلاف الجنِّ / فسميَّ إنساناً لظهوره ، والجن لاجتنانه .. أي : خفائه .

لقد أودع الله الإنسان [بحكمته الباهرة قوتين :

قوة مَلَكية – تتشعب من فيض الروح المخصوصة بالإنسان ، وعلى الروح الطبيعية السارية في البدن ، وقبولها ذلك الفيض وانقهارها له .

وقوة بهيمية – تتشعب من النفس الحيوانية المشترك فيها كلُّ حيوان ، المتَّشحة بالقوى القائمة بالروح الطبيعية ، واستقلالها بنفسها ، واذعان الروح الإنسانية لها ، وقبولها الحكم منها .

ثم تعلم أن بين القوتين تزاحماً وتجاذباً ، فهذه تجذب إلى العلو دون تلك .. ، وإذا برزت البهيمية وغلبت آثارها كمنت الملكية ، وكذلك العكس ، وأن للباري جلَّ شأنه عناية بكل نظام وجوداً بكل ما يسأله الاستعداد الأصلي والكسبي ، فإن كسبت هيئات بهيمية أمدَّ فيها ويسَّر لها ما يناسبها ، وإن كسبت هيئات ملكية أمدَّ فيها ويسَّر لها ما يناسبها ، كما في قوله تعالى : { فأما من أعطى واتَّقى ✎ وصدَّق بالحسنى ✎ فسنُيَسِّره لليُسرى ✎ وأما من بخل واستغنى ✎ وكذَّب بالحسنى ✎ فسَنُيَسِّرهُ للعُسرى ✎ وما يُغني عنه مالُهُ إذا تردى }[41] ، وقال تعالى : { كلاً نُّمِدُّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربِّك وما كان عطاءُ ربِّك محظورا }[42] .

---

[41] **الليل / ٥ إلى ١١ .**

[42] **الإسراء / ٢٠ .**

وأن لكلِّ قوَّةٍ لذَّةً وألماً :

فاللذة – إدراك ما يناسبها .

والألم – إدراك ما يُخالفها .

.. فتبين أن التكليف من مقتضيات النوع الإنساني ، وأن الإنسان يسأل ربَّه بلسان استعداده أن يوجب عليه ما يناسب القوة الملكية ثم يثبت على ذلك ، وأن يُحرِّم عليه الإنهماك في البهيمية ويعاقب على ذلك .. وتجد مع ذلك فيه خواص يمتاز بها من سائر الحيوان ، منها :

النطق ، وفهم الخطاب ، وتوليد العلوم الكسبية من ترتيب المقدِّمات البديهية ، أو من التجربة ، والاستقراء ، والحدس .

ومن : الاهتمام بأمور يستحسنها بعقله ولا يجدها بحسِّه ولا وهمه .. كتهذيب النفس ، وتسخير الأقاليم تحت حكمه .

ولذلك يتوارد على أصول هذه الأمور جميع الأمم حتى سكان شواهق الجبال ، وما ذلك إلاَّ لسرٍ ناشئٍ من جذر صورته النوعية ، وذلك السرُّ أن مزاج الإنسان يقتضي :

أن يكون عقله قاهراً على قلبه ، وقلبه قاهراً على نفسه .

ثم انظر إلى تدبير الحقِّ لكلِّ نوعٍ ، وتربيته إياه ، ولطفه به ، فلما كان انبات لا يحسُّ ولا يتحرك ، جعل له عروقاً تمتص المادة المجتمعة من الماء والهواء ولطيف التراب ، ثم يفرقها في الأغصان ، وغيرها ..

ولما كان الحيوان حساساً متحركاً بالإرادة ، لم يجعل له عروقاً تمتص المادة من الأرض ، بل ألهمه طلب الحبوب والحشيش والماء من مظَّانِّها ، وألهمه جميع ما يحتاج إليه من الارتفاقات ..

ولما كان الإنسان مع احساسه وتحرُّكه وقبوله للإلهامات الجبِلِّيَّة ، والعلوم الطبيعية ، ذا عقلٍ وتوليد للعلوم الكسبية ، ألهمه الزرع والغرس

والتجارة والمعاملة ، وجعل منهم السيد بالطبع والإتِّفاق ، والعبد بالطبع والإتِّفاق ، وجعل منهم الملوك والرعية ، وجعل منهم الحكيم المتكلم بالحكمة الإلهية والطبيعية والرياضية والعملية ، وجعل منهم الغبيّ الذي لا يهتدي لذلك إلاَّ بضرب تقليد ..

واعلم أن الإنسان ليس كسائر أنواع الحيوان ، بل له إدراك أشرف من إدراكاتهم ...

ومن خوَّاصه أيضاً : أن يكون في نوع الإنسان مَن له خلوصٌ إلى منبع العلوم العقلية يتلقاها منه وحياً أو حدساً أو رؤيا ، وأن يكون آخرون قد تفرَّسوا من هذا الكامل آثار الرشد والبركة ، فانقادوا له فيما أمر ونهى .

وليس فردٌ من أفراد الإنسان إلاَّ له قوةُ للتخلص إلى الغيب برؤيا يراها ، أو برأيٍّ يُبصره ، أو هتيفٍ يسمعه ، أو حدسٍ يتفطَّن له ، إلاَّ أن منهم الكامل ومنهم الناقص ، والناقص يحتاج إلى الكامل ، وله صفاتٍ يجلُّ طورها عن طور صفات البهائم ، كالخشوع .. والنظافة .. والعدالة .. والسماحة .. ، وكظهور بوارق الجبروت والملكوت من استجابة الدعاء .. وسائر الكرامات .. والأحوال .. والمقامات .

والأمور التي يمتاز بها الإنسان من سائر الحيوان كثيرةٌ جداً ، لكن جماع الأمر وملاكه .. خصلتان :

- أحدهما / زيادة القوة العقلية ، ولها شعبتان .. شعبة غائصة في الإرتفاقات لمصلحة نظام البشر واستنباط دقائقها ، وشعبة مستعدة للعلوم الغيبية الفائضة بطريق الوهب .
- وثانيهما / براعة القوة العملية ، ولها شعبتان .. شعبة هي ابتلاعها للأعمال من طريق اختيارها وإرادتها ، فالبهائم تفعل أفعالاً بالاختيار ولا

تدخل أفعالها في جُذُر أنفسها .. ، وشعبة هي أحوال ومقامات سنيَّة كمحبة الله تعالى ، والتوكل عليه مما ليس في البهائم جنسها ..][43]

فالمخلوقات – إذن – أنواع /

فالجماد – لا يعقل ، ولا يحسُّ ، ولا ينمو ، ولا يتحرك .

والنبات – لا يعقل ، ولا يحسُّ ، ولا يتحرك .. وينمو .

والحيوان – لا يعقل .. ويحسُّ ، وينمو ، ويتحرك .

والإنسان – يعقل ، ويحسُّ ، وينمو ، ويتحرك بالإرادة .

والجنُّ – مثل الإنسان في صفاته ، والفارق الاختفاء ! .

فلكون الإنسان /

- يأنس بغيره – كما مرَ في معناه اللغوي – ، فهو كما قال فلاسفة الاجتماع بعدئذٍ : [مدنيٌّ بطبعه] ، وهذا أمرٌ عرفه العرب منذ القديم ، عند وضع اللفظ الدَّال على معناه .
- وأنه ينسى – كما مرَّ في معناه الآخر – ، فهو محل العوارض المُذهبة للعلم – على الدوام أم على سبيل التأقيت – من : نسيان ، وسهو ، وغفلة ، وجنون ، وعته ، ونوم ، وغيبوبة ، وسكرٍ .
- وأنَّه يحمل صفات : البهيمية ، والسبعية ، والشيطانية ، والربوبية.
- وأنه : يُرى فيؤثر في الموجودات وليس ممن يختفي ، ويعقل ، وينمو ، ويحسُّ ، ويتحرك بالإرادة .

كلُّ ذلك / جعله موضع عناية الله عزَّ وجلَّ أكثر من غيره من المخلوقات ، فإذا كان الجنُّ يستوون مع الإنسان في الصفات العامة ،

---

[43] **حجة الله البالغة للدهلوي – ١ / ٢٠ إلى ٢٣ .**

فاختفاؤهم – بأمر الله – يبعد تأثيرهم المباشر ، فافترقوا عن الانسان من هذه الجهة .

ولهذا / رفع الله عزَّ وجلَّ شأن الإنسان على سائر المخلوقات ، حيث جعل الله بعض الأنبياء من بني البشر أفضل من الملائكة ، لأن هؤلاء ليسوا عرضةً للإغواء ، فهم لا يُمتحنون بل عُصموا عن الصغائر والكبائر ، وجُردُّوا من الغرائز والحاجات العضوية .. فلا ريب أنَّهم ناجون بعناية الله بهم .

أما الإنسان فقد اجتمعت فيه الصفات ، وتزاحمت النوازع ، فمن تغلب عليها فقد بلغ مبلغاً لا يبلغه الملائكة المقربون ، وتغلبه يكون بالعناية الإلهية مع الهداية العقلية ، ولا ينفرد الأخير بالحاكمية والموجبية ، فهذا ضلال البعض الذين بعدوا في اعطاء الإنسان قدرةً نفسيَّة ، وهذا يخالف منطوق العقل نفسه ، إذ يجعل فعل الله بإرسال الرسل عبثاً !! ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا ، ومن هذا يتَّضح لك ما فلناه عن النص الذي نقلناه آنفاً .

وكانت عناية الله بالإنسان وتكريمه من أوجهٍ :

- خلقه إيَّاه بيده .
- نفخه فيه من روحه .
- تعليمه إيَّاه بنفسه .
- إسجاد الملائكة له .
- جعله أهلاً لخطابه ورسالاته .
- استخلافه في أرضه .
- تفضيله على باقي مخلوقاته بالعقل والإدراك .

- تفضيله على باقي مخلوقاته بخلقه في أحسن تقويم بهيئةٍ حسنة .
- تسخيره كلَّ ما في الكون له ، وجعل له القدرة على قهره .
- إنزاله الرسالات للإنسان التي وفرت له سبل الهداية ، لكي لا يركن إلى خاصَّة نفسه ، ونوازعها الغالبة على صفاته الخيرية .
- ووفرت الرسالات : العدالة في .. المساواة أمام الشرع ويوم القيامة ، والعدالة الدنيوية ، والعدالة في عدم الإكراه في الدين ، وفي حفظ مصاله الضرورية والحاجية والتحسينية .
- ومهدَّ له سبيل التوبة ، وقبولها منه رحمةً منه واعتناءً بالإنسان .
- وجعل له سبلاً للتقرب إلى الله عزَّ وجلَّ ، وشرَّع له العبادات المفروضة ، والنوافل والزيادات التي تقربه إليه .
- جعل الحسنة بعش أمثالها ، وتضاعف أضعافاً كثيرةً لا تُحصى في بعض الطاعات ، والسيِّئة بمثلها ، وجعل الحسنات يُذهبنَّ السيِّئات .
- وجعل العوارض : كالمرض سبباً لغفران الذنوب ، وطلب العلم والسفر سبباً لاستجابة الدعاء .
- وجعل البلوى لبني البشر حباً منه لهم ، وسبباً للغفران ، وبالصبر على البلوى تنال به الدرجات العلا .
- واعتنى به بعد موته – ولو قتلاً – : فنهت عن القتل أصلاً ، وإن حدث – ظلماً أو بحق – فلا بدَّ من عدم التعذيب فيه ، والنهي عن المُثْلة بعده .
- واعتنى به بعد موته فأوجبت : تغسيله ، وتجهيزه وتكفينه ، والصلاة عليه ، ودفنه ، ووصول ثواب الأعمال الصالحة إليه ، وبقاء ذمته بالقدر الذي تستحصل حقوقه ، وتدفع ديونه[٤٤] .

[٤٤] النصوص الدَّالة على كلِّ ذلك معروفة ، ولعل أغلبها سيأتي في ثنايا البحوث القادمة .

ولو شئنا أن نحصي أنواع عناية الباري جلَّ وعلا ببني البشر ، لما أحصيناه ، فرحمته وسعت كلَّ شيءٍ ، وعذابه يخصُّ به من يشاء .

فمن النصوص المؤيدة لما ذكر – وهناك غيرها – ، قوله تعالى :

{ وإذ قال ربُّك للملائكة إنِّي جاعلٌ في الأرض خليفة قالوا أ تجعل فيها مَن يُفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبِّح بحمدك ونقدِّس لك قال إنِّي أعلم ما لا تعلمون ✎ وعلَّم آدم الأسماء كلَّها ثم عرضهم على الملائكة فقال نبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ✎ قالوا سبحانك لا علم لنا إلاَّ ما علمتنا إنَّك أنت العليم الحكيم ✎ قال يا آدم أنبئْهم بأسمائهم فلمَّا أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنِّي أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تُبدون وما كنتم تكتمون ✎ وإذ قلنا للملائكو اسجدوا لآدم فسجدوا إلاَّ إبليس واستكبر وكان من الكافرين ✎ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنَّة وكلا منها رَغَداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين }[٤٥] .

وقوله تعالى : { ولقد كرَّمنا بني آدم وحملناهم في البرِّ والبحر ورزقناهم من الطيِّبات وفضلناهم على كثيرٍ ممَّن خلقنا تفضيلا }[٤٦] .

وقوله تعالى : { وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعضكم درجات .. }[٤٧].

وقوله تعالى :{ .. هو الذي أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها }[٤٨] .

---

[٤٥] البقرة / ٣٠ إلى ٣٥ .

[٤٦] الإسراء / الأحزاب / ٧٢ إلى ٧٣ .

[٤٧] الأنعام / ١٦٥ ، ونفس المعنى تكرر في مواضع من القرآن العظيم .

[٤٨] الإسراء / ٧٠ .

وللأوصاف المبسوطة فقد قبل الإنسان بالتكليف من الله عزَّ وجلَّ ، متحمَّلاً الأمانة .

وكان تكليف الله عزَّ وعلا للإنسان يدل على مزيد اهتمام والتفات من الله تعالى إلى عبيده من بني البشر ، فحين يلتفت إليه ربُّه بالعناية ويطلب منه ما يطلب ، فهو التفات منه لبعض مخلوقاته المستغني جلَّ وعلا عن كلِّ ما أعطاه إيّاه ، فلم يكن ذلك التكليف إلاَّ عناية من تعالى .

فالأمانة التي قبلها هي رضاه بالتكليف ، وأبته المخلوقات الأخرى .. يقول تعالى : { إنَّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحمِلْنَها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنَّه كان ظلوماً جهولا ✍ ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيما }[٤٩] .

إن الله لم يكل الإنسان إلى نفسه من أول لحظةٍ خلقه بها ، بل كان يأمره وينهاه لئلا يقع فيما يُغضب الله جلَّ وعلا ، فلم يجعله مكتفياً بعقله ، مستغنيَّاً عن ربّه ، وجعله محتاجاً إلى هداه تعالى وهو في الجنَّة ، وبعد إهباطه منها .

---

[٤٩] الأحزاب / ٧٢ إلى ٧٣ .

يقول تعالى : { وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنَّة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ✍ فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما ممَّا كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعضٍ عدوٌّ ولكم في الأرض مستقرٌ ومتاعٌ إلى حين ✍ فتلقى آدم من ربّه كلماتٍ فتاب عليه إنَّه هو التوَّاب الرحيم ✍ قلنا اهبطوا منها جميعاً فإمَّا يأتينكم منِّي هدىً فمن تبع هدايَ فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ✍ والذين كفروا وكذَّبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون }[٥٠] .

والإنسان / – كما علمناه عنه بطريق الملاحظة – له جوانب ثلاث متلازمة ، لا تنفك عنه ابداً – إلا بطريق الاستثناء .. كالمجانين – ، وهذه الجوانب الثلاث هي :

- جانب الفكر – وهذا تعالجه العقيدة ، وتدرس في علمٍ خاص يسمى : العقيدة ، أو الكلام ، أو المقولات ، أو الإلهيات .

  وهذا العلم .. هو أشرف العلوم ، لتعلقه بإثبات وجود الله ، وصفاته والإيمان به .. الخ . فإن شرف العلم من شرف المعلوم .
- جانب النفس – وهذا يُعالجه علم الأخلاق ، أو علم التخلية والتحلية ، أو ما سميَّ – بعدئذٍ – بعلم التصوف .
- وجانب الأعضاء – فما تقوم به من أفعال يُعالجه علم الفقه ، فهي الأمور العملية التي يقوم بها الإنسان في اليوم والليلة .

وهذا الجانب هو مقصود الشرائع ، والأمران الآخران هو مقصود الأديان – بمعناها الضيِّق – ، وتتضافر جميعها لكي تجعل من حياة

---

[٥٠] البقرة / ٣٥ إلى ٣٩ .

الإنسان حياةً مقبولة معقولة توفر السعادة لصاحبها ، ولكي تؤدي إلى السعادة العظمى .. وهي السعادة الأخروية .

فالإنسان لا يستطيع العيش من غير نظام / لأنه عاقل ، ومن يعقل يحتاج إلى تنظيمات لتفسه ، وفي علاقته مع غيره ، والعقل يعقل صاحبه عمَّا لا يرتضى ، فعلى العقل أن يُميِّز بين ما يرتضى وما لا يُرتضى .

فقد يُجهد الإنسان نفسه ليصل إلى ما يُرتضى ، ولكن أنَّى له أن يعرف المرضيّ من غيره ؟! ، فيكون حَكَماً ومُحَكَّماً ، وهو المعيار وهو المَعير ، أي : العيار والوزن !! ، فهو لا ريب سيضع ضوابط توافق هواه ، وتحقق له اللذة – بالمعنى الذي بيَّناه – ، ثم يقوم هو بتقييمها ، وبيان صلاحها ، وموافقتها للغريزة الإنسانيَّة ، والجبِّلة البشريَّة .. وهذا من الغرابة بمكان !! .

لذلك قامت ضرورة الحاجة إلى معايير خارجة عن صنعه ، ولكن محلُّها و دون غيره .

إذن أ ليس الله تعالى هو خير من يضع تلك الضوابط ؟ ؟ ، أ لم يكن خالقاً لهذا المخلوق وهو العارف بدخيلته ؟ ؟ { ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير }[٥١].

فقامت الحاجة إلى إرسال الرسل من الله عزَّ وجلَّ / فبعد حسم الإيمان بالله – وهذا موضعه غير هذا المقام ، فنحن يُفترض فينا أننا نخاطب المؤمنين – علينا أن نؤمن بالرسالات التي أرسلها الله إلى بني البشر ، وخاتمتها رسالة محمد عليه الصلاة والسلام .

ولإيماننا بالله طريقٌ هو العقل .

ولإيماننا بالرسول طريق النظر في البراهين ، وهي نوعان :

---

[٥١] الملك / ١٤ .

الأولى / حسيَّة : كانشقاق القمر ، وحنين الجذع ، وشكوى الغزالة ، ونبع الماء من بيت أصابعه الشريفة ، وتطويعه العرب وهدايتهم وجمعهم على معتقد واحد مع أن المشهور عنهم خلاف ذلك .. الخ . وهذا طرقها الخبر الصادق بطريق النقل المتواتر عمَّن : شاهد ، وسمع ، وأحس .

الثانية / معنوية : وهي إخباراته عن بعض المغيَّبات التي تحققت ، ومعجزته الكبرى في القرآن العظيم ، ومعجزة هذه الأحكام التي وردت في الكتاب والسنة وما فيها من مقبولية العقل ، وتلبية حاجة المجتمع الإنساني .. وليس هذا موضع الكلام فيه .

فإذا ثبتت نبوة محمد عليه السلام ، فلابدَّ من دراسة أحكام شريعته البهيَّة ، والأحكام العليَّة ، ودراسة العلوم التي نشأت في الأمة على مرِّ العصور ، لكي نصل إلى مراد الله فنقوم بتطبيقه .

وهذا أمرٌ فيه نوع عسرٍ على المبتدئين / ولكي لا يذهب من أعمارهم ما يجب إنفاقه في الأهم ، فقد وضع هذا العلم لاختصار الطريق ، مع التسوية والتمهيد ..

هذا ولما كا رسول الله عليه السلام عربياً ، نشأ في بلاد هم ومات فيها ، فلابدَّ من معرفة : معنى كلمة العرب ، وأجيالهم ومن أيِّها كان رسول الله عليه السلام ، وبلادهم .. وهذا موضوع الفصل القادم إن شاء الله .